نعمة الأمن

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربه رشد، ومن أعرض عن مولاه عاش في كمد.

أيها المسلمون:

فرض الله الفرائض وحرَّم المحرمات وأوجب الحقوق رعاية لمصالح العباد، وجعل الشَّريعة غذَّاء لحفظ حياتهم ودواء لدفع أدوائهم، وجاءت دعوة الرُّسل بإخلاص العبادة لله وحده بخضوع وخشوع وطمأنينة، ومقتت ما يصرف القلوب عن خالقها، فكانت أوَّل تضرُّعات الخليل عليه السلام لربه أن يبسط الأمن على مهوى أفئدة المسلمين فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فاستجاب الله دعاءه فقال سبحانه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، وفضّل الله البيت الحرام بما أحلَّ فيه من الأمن والاستقرار ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، وامتنَّ الله على ثمود قوم صالح نحتهم بيوتهم من غير خوفٍ ولا فزعٍ فقال

عنهم: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، وأنعم الله على سبأ الآلاء المتتابعة والأماكن الآمنة ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، ويوسف عليه السلام يخاطب والديه وأهله ممتناً بنعمة الله عليهم بدخولهم بلداً آمناً مستقراً تطمئنّ فيه نفوسهم ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٩]، وحبس الله عن مكَّة الفيل وجعل كيد أصحاب الفيل في تضليل، لتبقى كعبة الله صرحاً آمناً عبر التَّاريخ، و العرب قبل الإسلام كانت تعيش حالةً مِنْ التَّمزُّق والفوضى والضَّياع، تدور بينهم حروب طاحنة ومعارك ضارية، وعلت مكانة قريش من بينهم لاحتضانها بلداً آمناً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، بل وأقسم الله بذلك البلد المستقر الآمن فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

ووعد الله نبيَّه محمَّداً ﷺ وأصحابه بأداء النُّسك على صفةٍ تتشوق لها أنفسهم وهي الأمن ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ومما اختصَّت به مدينة المصطفى ﷺ أمنها حين تفزع القرى من المسيح الدَّجَّال، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدَّجَّال، لها يومئذٍ سبعة أبواب على كلِّ بابٍ ملكان**» (رواه البخاري).

ومن نعيم أهل الجَنَّة في الجَنَّة أَمْنُ المكان فلا خوف ولا فزع ولا تحوُّل ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدّخان: ٥١].

أيها المسلمون:

لقد جمعت شريعة الإسلام المحاسن كلّها، فصانت الدين وحفظت العقول وطهرت الأموال وصانت الأعراض وأمنت النُّفوس، أمرت المسلم

بإلقاء كلمة السَّلام والأمان والرَّحمة والاطمئنان على أخيه المسلم إشارةً منها لنشر الأمن بين النَّاس، وأوجبت حفظ النَّفس حتى في مظنة أمنها في أحبِّ البقاع إلى الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها أو قال: فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء**» (متفق عليه).

وحذَّرت من إظهار أسباب الرَّوع بين صفوف المسلمين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسِّلاح فإنه لا يدري لعلَّ الشَّيطان ينزع في يده فيقع في حفرةٍ من النَّار**» (متفق عليه)، وحرمت على المسلم الإشارة على أخيه المسلم بالسِّلاح ولو مازحاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه حتى يدعها وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» (رواه مسلم). قال النووي ـ رحمه الله ـ: «هذا مبالغة في إيضاح عموم النَّهي في كل أحد سواء من يُتَّهم فيه ومن لا يُتَّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا، لأنَّ ترويع المسلم حرام بكلِّ حال».

ودعا الإسلام إلى كلِّ عملٍ يبعث على الأمن والاطمئنان بين صفوف أفراده، وأمر بإخفاء أسباب الفزع في المجتمع فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّع مسلماً**» (رواه أحمد)، ولما دخل النَّبي ﷺ مكة عام الفتح منح أهل مكة أعظم ما تتوق إليه نفوسهم فأعطى الأمان لهم وقال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السِّلاح فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**» (رواه مسلم). وما شُرعت الحدود العادلة الحازمة في الإسلام على تنوعها إلا لتحقيق الأمن في المجتمعات.

أيها المسلمون:

بالأمن والإيمان تتوحد النُّفوس، وتزدهر الحياة، وتغدق الأرزاق، ويتعارف النَّاس، وتتلقى العلوم من منابعها الصافية، ويزداد الحبل الوثيق بين الأمة وعلمائها، وتتوثق الروابط بين أفراد المجتمع، وتتوحَّد الكلمة

ويأنس الجميع، ويتبادل النَّاس المنافع وتقام الشَّعائر بطمأنينة، وتقام حدود الله في أرض الله على عباد الله.

وإذا اختلَّ الأمن تبدَّل الحال، ولم يهنأ أحد براحة بال، فيلحق النَّاس الفزع في عباداتهم فتهجر المساجد ويمنع المسلم من إظهار شعائر دينه، قال سبحانه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وتُعاق سبل الدَّعوة، وينضب وصول الخير إلى الآخرين، وينقطع تحصيل العلم وملازمة العلماء، ولا توصل الأرحام، ويئن المرضى فلا دواء ولا طبيب، وتختلّ المعايش، وتُهجر الديار، وتفارق الأوطان، وتتفرق الأسر، وتنقض عهود ومواثيق، وتبور التجارة ويتعسر طلب الرزق، وتتبدَّل طباع الخلق فيظهر الكذب ويُلقى الشح ويبادر إلى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الأمن. باختلال الأمن تقتل نفوس بريئة، وتُرمَّل نساء، ويُيتَّمُ أطفال.

إذا سُلبت نعمة الأمن فشى الجهل، وشاع الظُّلم، وسلبت الممتلكات، وإذا حلَّ الخوف أُذِيقَ المجتمع لباس الفقر والجوع، قال سبحانه: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «سمّى الله الجوع والخوف لباساً؛ لأنَّه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللِّباس».

الخوف يجلب الغمَّ وهو قرين الحزن، قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، يقول معاوية رضي الله عنه: «إياكم والفتنة فلا تهمّوا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتُكدِّر النعمة، وتورث الاستئصال». ولو قلّبت البصر في الآفاق لوجدت الأمن ضرورة في كل شأن، ولن تصل إلى غاية كمال أمر إلا بالأمن، بل لن تجد مجتمعاً ناهضاً وحبال الخوف تهز كيانه.

أيها المسلمون:

نعمة الأمن من نعم الله حقاً حقيق بأن تُذكر ويُذكَّر بها، وأن يحافظ عليها قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ونعمة الأمن تقابل بالذكر والشكر ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٩].

وأمر الله قريشاً بشكر نعمة الأمن والرَّخاء بالإكثار من طاعته قال جلَّ وعلا ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قُرَيش: ٣ ـ ٤]، والمعاصي والأمن لا يجتمعان.

فالذُّنوب مزيلة للنِّعم وبها تحلّ النِّقم، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، والطَّاعة هي حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، وبالخوف من الله ومراقبته يتحقق الأمن والأمان، فهابيل امتنع من قتل قابيل خوفاً من الله ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: ٢٨].

والعناية بالعلم والتمسك بالكتاب والسنة شريعة وقيماً وأصولاً اجتماعية عصمة من الفتن، والتعليم الشرعي أساس في رسوخ الأمن والاطمئنان، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قلّ الشَّر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشَّر والفساد»، والعلماء الرَّبانيون هم ورثة الأنبياء، وفي ملازمتهم وزياراتهم وسؤالهم والاستنارة بآراءهم سداد في الرَّأي وتوفيق للصَّواب ودرء للمفاسد.

وببركة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تُمنع الشُّرور والآفات عن المجتمعات. وحفظ العبد نفسه من شهوات النَّفس وشبهات القلب أصل في صيانة المجتمع من المخاوف والمكاره، وتأويل نصوص الشَّريعة على

غير وجهها سبب انحراف الأفهام، ومنها ينطلق الأعداء لتلويث عقول الناشئة، ويزداد أثره حين يضعف التَّحصُّن بعلوم الدِّين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الأمن مطلب في الحياة لا يستغني عنه الخلق لقضاء مصالحهم الدِّينية والدُّنيوية، وما من عبدٍ إلا ويبحث لنفسه عن أسباب أمنها، ويتوقَّى جهد طاقته أسباب الخوف التي قد تحدق به في طريق حياته، ومهما أوتي الإنسان من سلامة بدن ووفرة رزق فإنه لا يشعر بقيمتها إلا بالأمن والاستقرار، والخوف من الله ومراقبته مفتاح الأمن للمسلم في دنياه وفي أخراه، وعقد القلب على أركان الإيمان وتوفير مقتضياته في عمل الجوارح هو المصدر الحقيقي لحصول الأمن في الدنيا والآخرة، والأمن التَّام هو في طاعة الله ولزوم ذكره ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

وإذا استقام الفرد في نفسه، وألزم من تحت يده من زوجة وأبناء على السَّير وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حقَّق الأمن لنفسه وانتظم الأمن في المجتمع.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...